جامعة الأزهر
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
قسم الثقافة الإسلامية

بحـــث
حقيقـــة البكـاء في الإســـلام

إعـداد
د/ محمد أمر الله السيد مصطفى
المدرس بقسم الثقافة الإسلامية

ملخص البحث:

تناول الباحث في هذا البحث حقيقة البكاء في الإسلام من خلال التعريف به، وذكر حديث القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عنه، ثم ذكر فوائد البكاء، وكيفية ووسائل التحقق به،

وقد توصل الباحث إلى عدة نتائج من أهمها ما يلي:

١ ـ اهتمام القرآن الكريم بقضية البكاء من خشية الله تعالى فهو من صفات الأنبياء ومن خصائص المؤمنين ومن شارات العلماء .

٢ ـ أن السماء والأرض يبكيان على موت العبد الصالح .

٣ ـ ذم القرآن الكريم لبكاء الكذب والرياء وتغيير الحقائق .

٤ ـ اهتمام السنة النبوية بالبكاء ببيان فضله وأسبابه ودواعيه .

٥ ـ كثرة نماذج البكائين من السلف الصالح .

٦ ـ كثرة فوائد البكاء للنفس والبدن والروح .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن والاه واهتدى بهداه .... **وبعـــد؛؛**

فإن الله تعالى خلق الإنسان وجبله على خصائص بدنية وطبائع نفسيه وصفات خلقية ومتغيرات قلبية وزرع فيه الخير والشر وجعله حراً في اختيار أحد الطريقين، فقال تعالى: ﴿ ﴾ {البلد: ١٠}، وقال تعالى: ﴿ ﴾ {الشمس: ٧، ٨} .

والحياة الدنيا مليئة بالتنوع والمتغيرات والابتلاءات وأحوالها سريعة التقلب ما بين سرور وفرح أو حزن وترح وما يدعو إلى الضحك وما يحمل على البكاء ويثير الأحزان، يقول تعالى: ﴿ ﴾ {النجم: ٤٣} .

فالله تعالى خلق في الحياة الدنيا ما يجعل الإنسان حزيناً مهموماً باكياً أحياناً أو مسروراً ضاحكاً متفائلاً أحياناً أخرى .

لأجل ذلك وغيره استخرت الله تعالى في الكتابة عن البكاء وذلك لما يأتي:

أسباب اختيار الموضـــوع:

١ . ما لاحظه الباحث في نفسه وغيره من قلة البكاء وندرة الخشوع فما أكثر المصلين وما أقل الخاشعين الباكين الخائفين من رب العالمين .

٢ . ليتذوق المؤمنون عامة والدعاة والعلماء خاصة حلاوة الإيمان ونعمة القرب من الله ولذة المناجاة ولن يكون ذلك إلا بالتحقق بمقام البكاء .

٣ . ما قرره الأطباء من فوائد البكاء للعين والقلب والنفس والبدن عامة حيث ينقي العين ويذهب الحزن عن القلب ويهدئ النفس ويفرغ الشحنات العصبية فيستريح البدن كله .

٤ . البكاء علامة مسجلة وبرهان ساطع على قوة الإيمان وعمق اليقين وتمكن الخوف من الله في قلب العبد .

٥ . إن البكاء دليل على إخلاص القلب ولا يستطيع المرائي أن يبكي بكاء حقيقياً إذ يظهر رياؤه في بكائه بأقل مجهود، كما قال تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ {يوسف: ١٦} .

٦ . اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية بقضية البكاء وأنه شعار المؤمنين أتباع المرسلين .

٧ . لا يكون الداعية داعية حقاً ولا العالم عالماً إلا إذا تفطر قلبه وخشعت جوارحه ودمعت عيناه من خشية الله تعالى .

لهذه الأسباب وغيرها وفقني الله تعالى للكتابة في هذا الموضوع، وقد جعلت عنوان البحث: (حقيقة البكاء في الإسلام) .

ويتكون الموضوع من: مقدمة وتمهيد وفصلين، وخاتمة .

المقدمة: وتشتمل على : أ . أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

ب . خطة البحث .

التمهيد: ويشتمل على:

أ . التعريف بالبكاء لغة واصطلاحاً .

ب . أنواع البكاء .

جـ . المراد بالبكاء في هذا البحث .

الفصل الأول: البكاء في القرآن والسنة، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: البكاء في القرآن الكريم، ويشتمل على تسعة مطالب:

المطلب الأول: الله تعالى هو المضحك المبكي .

المطلب الثاني: البكاء من صفات الأنبياء .

المطلب الثالث: البكاء من صفات العلماء .

المطلب الرابع: القسيسون والرهبان يبكون عند معرفة الحق .

المطلب الخامس: المؤمنون يبكون أسفاً على فوات الجهاد .

المطلب السادس: المشركون يضحكون عند سماع القرآن .

المطلب السابع: حال المنافقين مع البكاء .

المطلب الثامن: بكاء السماء والأرض .

المطلب التاسع: دموع الكذب .

المبحث الثاني: البكاء في السنة النبوية، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فضل البكاء .

المطلب الثاني: أسباب البكاء ودوافعه .

المطلب الثالث: نماذج من البكائين .

الفصل الثاني: فوائد البكاء وكيفية التحقق به، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: فوائد البكاء، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفوائد النفسية .

المطلب الثاني: الفوائد الطبية .

المطلب الثالث: الفوائد الروحية .

المبحث الثاني: وسائل التحقق بالبكاء، ويشتمل على تسعة مطالب:

المطلب الأول: تدبر القرآن .

المطلب الثاني: الاستعداد للصلاة .

المطلب الثالث: التفكر في أقوال الصلاة وأفعالها .

المطلب الرابع: كثرة ذكر الله تعالى .

المطلب الخامس: تواصل الأحزان .

المطلب السادس: رؤية الباكين .

المطلب السابع: التباكي .

المطلب الثامن: القراءة المنتظمة في كتب الرقائق .

المطلب التاسع: خلاء البطن .

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات .

المراجع .

الفهرس .

تمهيـد

ويشتمل على:

أ . تعريف البكاء لغة واصطلاحاً .

ب . أنواع البكاء .

جـ . بعض أحكام البكاء في الصلاة .

أ ـ تعريف البكاء لغة واصطلاحاً:

البكاء في لغة العرب: إن الناظر في معاني مفردة (بكى) وتصريفها في اللغة يجدها تدور حول: إسالة الدموع والحزن أو القلة أو الغِناء .

(بَكَى يُبْكي بُكاء وبُكي فهو باكٍ والجمع بُكاةٌ وبُكي، وبَكّاه: فعل به ما يوجب بُكاه وبَكَّاه على الميت تَبْكِيَةً: هَيَّجَه للبكاء، وبَكَاهُ بكاءً: بَكَى عليه وَرَثَاهُ، وبَكى: غنّى فهو من الأضداد) [١] .

وعلى ذلك فالتبكية هي: إثارة الأحزان مما يوجب سكب العبرات، وإذا تعدى بالهمزة فمعناه: فعل ما يوجب بكاء الغير .

(بَكَى يُبْكِي بُكاً وبُكَاءً بالمد: سيلان الدمع عن حزن وعويل، يقال إذا كان الصوت أغلب كالرغاء والدعاء وسائر هذه الأبنية الموضوعة للصوت وبالقصر: إذا كان الحزن أغلب، وجمع الباكي: باكون وأصل بكى: فعول كقولهم: ساجد وسجود وراكع وركوع وقاعد وقعود ولكن قُلب الواو ياء فأدغم نحو: جاث وجُثي وعات وعُتى) [٢] .

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز أبادي، مجلد ٢ ص ٢٦٨، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٦م .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٦٩، ط. المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨م .

إن تعرض الإنسان للبكاء لابد أن يصحبه حزن وإسالة دموع لكن إذا كان الصوت غالباً سمي بُكاءً وجمع باكي: باكون إذا كان الحزن اغلب من الصوت فهو بُكاءً جمع باكٍ بُكي .

وبذلك اتضحت معاني البكاء في اللغة ولم يبق إلا تعريفه في الاصطلاح .

البكـاء في الاصطــلاح:

لا يختلف معناه في الاصطلاح عن معناه في اللغة فهو: (إراقة الدموع من أثر الخوف من الله أو للتعبير عن حزن في الفؤاد) [١] .

وقد عرف الأطباء البكاء بقولهم (هو خروج ما تفرزه الغدد الدمعية لوسط العين ويصاحبه سيلان مائي بالأنف والبلعوم وتقلص للعضلات الدمعية مع قبض عضلات الوجه والبطن وارتفاع بالحجاب الحاجز وأحياناً يرافقه سعال خفيف) [٢] .

وعرفه سلفنا الصالح على لسان الإمام ابن الجوزي بقوله (إذا خرجت القلوب بالتوبة من حصر الهوى إلى بيداء التفكر جرت خيول الدموع في حلبات الوجد كالمرسلات عرفا إذا استقام زرع الفكر قامت العبرات تسقي ونهضت الزفرات تحصد ودارت رحى التحسر تطحن، فسبحان من يرسل الرياح المواعظ فتثير من قلوب المتيقظين غيم الغم على ما سلف فتسوقه إلى بلد الطبع المجدب برعد الوعيد وبرق الخشية فترقأ دموع الأحزان من قعر بحر القلب إلى أوج الرأس فتسيل ميازيب الشئون

---

(١) نضرة النعيم، تأليف مجموعة من المختصين، بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، مجلد (٣)، ص ٨٣٣، ط. دار الوسيلة بالسعودية، ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٤م .

(٢) موقع على الشبكة العنكبوتية: http://www0alittded0com، تاريخ الزيارة: ٢٠١٥/٢/٧م .

على نطوع الوجنات فإذا أعشب السر تهتز فرحاً بالإجابة) [١] . ألا ما أجمل البيان وأروع التصوير .

أنـواع البكــاء:

عن يزيد بن ميسرة قال: (البكاء من سبعة أشياء:

البكاء من الفرح والبكاء من الحزن والفزع والرياء والوَجع والشكر وبكاء من خشية الله تعالى فذلك الذي تطفئ الدمعة منه أمثال البحور من النار) [٢] .

والنوع الأخير هو المراد من هذا البحث وهو البكاء من خشية الله تعالى .

وهناك تقسيم آخر للبكاء وتفريق بين أنواعه فبكاء المرأة غير بكاء الرجل وبكاء الطفل مختلف عنهما وبكاء المحب العاشق بخلاف ما سبق .

(إن الصغير عندما يبكي فإنه يستغيث وينجح في أن يحرك عواطف الأم فتهرع لحمايته وإن صرخة الطفل تفتح قلب الأم والطفل يستخدم البكاء كوسيلة للتعبير عن احتياجاته أو خوفه أو مرضه .

أما بالنسبة للفرق بين بكاء الرجل وبكاء المرأة: فيؤكد العلم الحديث أن المرأة أكثر بكاء من الرجل بسبب زيادة عدد الغدد الدمعية لديها وغزارة إفرازاتها عن الرجل فالدموع للمرأة نعمة إذ تخفف من توترها العصبي، أما الرجل فإنه لا يعرف كيف يبكي فالتربية الشرقية تزرع بداخله أن الدموع للنساء وأنها ضعف وعيب يجب أن يخجل

---

(١) اللطائف، الإمام/ ابن الجوزي، جزء (١) ص ١٤ .

(٢) حلية الأولياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، مجلد (٥)، ص ٢٣٥، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٥م . .

منه) [١] .

أما بكاء المحبين والعاشقين فإنه يحتاج إلى بحث مستقل وليس مجاله هنا .

(١) مقال للأستاذ: فرغلي هارون محمد، بعنوان: (ابكوا تصحوا)، على موقع الديوان، منشور بتاريخ: سبتمبر ٢٠٠٨م، تاريخ الزيارة: ٢٠١٥/٢/٧م .

الفصــل الأول
البكـاء في القرآن والسنــة

عندما كنت أجمع المادة العلمية لهذا الموضوع لاحظت اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالبكاء باعتباره من صفات الأنبياء والمرسلين والمؤمنين والصالحين كما عثرت على مادة ثرية في السنة النبوية تدل على ما كان يتمتع به رسول الله ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان من رقي روحي وطهارة نفسية ونقاء القلوب وخشية غامرة وخوف مقلق دافع للعبادة والعمل والجهاد بهمة عالية وتشمير نادر رغبة فيما عند الله تعالى من جنة ونعيم وخوفاً من ناره وعذابه .

فصلاتهم صلاة حقيقة خضوعاً وإخباتاً وحركتهم في الحياة . عملاً وجهاداً . بإخلاص في سبيل الله تعالى .

ويشتمل هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: البكاء في القرآن الكريم .

المبحث الثاني: البكاء في السنة النبوية .

وسيكون تناول الآيات القرآنية من خلال شروح علماء التفسير لها وما يفتح الله تعالى به على الباحث من أفكار وعبارات، وقد وضع لكل آية عنواناً .

المبحـث الأول
البكـاء في القـرآن الكريـم

إن الناظر في آيات القرآن الكريم التي تناولت البكاء صراحة يجدها محدودة العدد فهي لا تتجاوز ثماني آيات أما ما ورد من آيات في معنى البكاء مما يُفهم من السياق فهي كثيرة ولكنني اكتفيت منها بما يشير إلى البكاء من أقرب طريق كفيضان العيون بالدموع أو ما يصاحب البكاء أو يكون سبباً في حدوثه من عوامل نفسية وتغيرات بدنية مثل وجل القلوب أو قشعريرة الجلود أو الخشوع أو غير ذلك من عوامل مصاحبة أو دافعة للبكاء .

المطلـب الأول
الله تعالـى هو المُضحِك المُبكـي

قال تعالى: ژ□□□□□ژ {النجم: ٤٣} إن الله تعالى خلق الإنسان وجبله على صفات كثيرة وجعل لكل شيء سبباً ومن ذلك الضحك والبكاء فلكل منهما أسبابه فمن أسباب الضحك الفرح والانبساط والسرور والطمأنينة وهدوء البال وحصول الصحة والغنى والرفاه وسماع أو مشاهدة ما يؤدي إلى الإضحاك كالنكات والنوادر أو المواقف الطريفة وغير ذلك من أسباب .

ومن أسباب البكاء: الحزن على ما فات أو الخوف مما هو آت أو حصول ما يؤدي إلى البكاء في الحال والاستقبال كمرض أو فقد عزيز أو خشوع القلب لسماع آية من القرآن الكريم أو موعظة بليغة مؤثرة أو مشاهدة ما يُبكي حتماً كرؤية المشردين والفقراء والمعدمين والمعذبين في الأرض وهم كثير وغير ذلك من أسباب .

يقول الإمام السيوطي في تفسير آية النجم: (أخرج بن مردويه عن عائشة . < .

قالت: مر رسول الله ﷺ على قوم يضحكون فقال: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً فنزل عليه جبريل فقال: إن الله هو أضحك وأبكي فرجع إليهم فقال: ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال: ائت هؤلاء فقل لهم: إن الله أضحك وأبكى) [١] .

وعلى هذا فالله تعالى هو المضحك المبكي للإنسان بأسباب داخلية خاصة بمشاعره أو خارجية تسببت في ضحكه أو بكائه .

لكن لابد من الإشارة هنا إلى أن الضحك الكثير منهي عنه شرعاً لأنه يؤدي إلى موت القلب .

ففي الحديث: **﴿ ولا تكثر من الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب ﴾** [٢] .

والعكس صحيح فإن البكاء الكثير من خشية الله تعالى يحيي قلوب المؤمنين ويغسل ذنوب العاصين ويقرب الشاردين عن الله ويدفع إلى طاعة الله والعمل الصالح بإخلاص ويقين .

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام/ جلال الدين السيوطي، مجلد (٦) ص ١٤٤، ط. الأنوار المحمدية .

(٢) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه، عن أبي هريرة ﷺ، رقم الحديث (٢٤٧٥)، كتاب: الزهد، باب (٢) من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، جزء (٢) ص ٥٩٣، وقال: حديث غريب، وأخرجه ابن ماجة في سننه، رقم الحديث (٤٣٣)، كتاب: الزهد، باب (١٩) الحزن والبكاء، جزء (١) ص ٦١٦ .

المطلب الثاني

البكـاء من صفـات الأنبياء

قال تعالى: ژڈڈڎڎژژڑڑکککگگگگڳڳڳڳںںڻڻۀۀہہژ {مريم: ٥٨} .

يقول العلامة السعدي: (فهذه خير بيوت العالم اصطفاهم الله واختارهم واجتباهم وكان حالهم عنه تلاوة آيات الرحمن عليهم المتضمنة للإخبار بالغيوب وصفات علام الغيوب والإخبار باليوم الآخر والوعود والوعيد ژڻڻۀۀہہژ أي خضعواً لآيات الله وخشعوا لها وأثرت في قلوبهم من الإيمان والرهبة والرغبة ما أوجب لهم بالبكاء والإنابة والسجود لربهم ولم يكونوا من الذين سمعوا آيات الله خروا عليها صما وعميانا) [١] .

إن أكمل البشر هم الرسل والأنبياء وأحسن الأحوال أحوالهم وإيمانهم أكمل الإيمان وهديهم أفضل الهدي فمن أراد أن يقلد ويقتدي أو يحاكي ويتمثل فليكن بهداهم وليس بغيرهم حتى يؤمن ويهتدي .

ويلقي صاحب الظلال مزيداً من الضوء على المشاعر النفسية للأنبياء حال سماعهم لآيات الرحمن حتى تظهر الصورة جلية واضحة فيقول:

(فهم أتقياء شديدو الحساسية بالله ترتعش وجداناتهم حين تتلى عليهم آياته فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم من تأثر فتفيض عيونهم بالدموع ويخرون سجداً وبكيا أولئك الأتقياء الحساسون الذين تفيض عيونهم بالدمع وتخشع قلوبهم لذكر الله خلف من بعدهم خلف بعيدون عن الله أضاعوا الصلاة فتركوها

---

(١) تفسير السعدي، للعلامة: ناصر الدين السعدي، ص ٤٧٣/ ط. مكتبة الصفا، ٢٠٠٤م .

وجحدوها واتبعوا الشهوات واستغرقوا فيها فما أشد المفارقة وما أبعد الشبه بين أولئك وهؤلاء) [١] .

فرفاهية الحس وحساسية التقوى وتقوى القلوب والسجود مع البكاء وسكب العبرات من صفات أصحاب الرسالات عليهم جميعاً السلام والصلوات .

ويقول الإمام ابن كثير في تفسير آية مريم: (أي إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه وبراهينه سجدوا لربهم خضوعاً واستكانة وحمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة، والبكى جمع باك فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود ها هنا اقتداء بهم واتباعاً لمنوالهم .،

قال سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر قال: قرأ عمر بن الخطاب ﷺ سورة مريم، فسجدوا قال: هذا السجود فأين البكى يريد البكاء) [٢] .

فأكمل أحوال الساجد أن يكون باكياً خاشعاً ذليلاً لله العزيز القهار ومن سجدت جوارحه ولم يسجد قلبه فسجوده غير كامل وخشوعه منقوص .

المطلب الثالث

البكـاء من صفات العلمـاء

إن العلم الحقيقي المثمر المفيد هو ما يؤدي إلى الخشية من الله ﷻ، يقول سبحانه: ﴿ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ﴾ {فاطر: ٢٨} .

سواء أكان العلم دنيوياً محضاً أو شرعياً إذ كل ما يفيد البشر في الدنيا والآخرة يسمى علماً، وقد وصف الله العلماء السابقين على الإسلام بوصف البكاء والخضوع

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، مجلد (٤) ص ٢٣١٤، ط. دار الشروق، ١٩٨٧م .

(٢) تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، مجلد (٣)، ص ١٣١، ط. المكتبة التوفيقية .

في قوله: ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ {الإسراء: ١٠٧ . ١٠٩} .

وهذا الوصف (مبالغة في صفتهم ومدح لهم وحق لمن تسوم بالعلم وحصّل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل .

وفي مسند الدارمي عن أبي محمد عن التيمي قال: من أوتى من العلم ما لم يبكه لخليق ألا يكون أوتى علماً) [١] .

فالعلم النافع هو المؤثر في صاحبه برقة القلب ودموع العين والحس المرهف والجوارح الخاضعة الخاشعة .

إن المشهد الذي رسمته الآية السابقة للعلماء العاملين المخلصين من أهل الكتاب (مشهد موح يلمس الوجدان مشهد الذين أوتوا العلم من قبله وهم يسمعون القرآن فيخشعون ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ژ أنهم لا يتمالكون أنفسهم فهم لا يسجدون ولكن ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ژ ثم تنطق ألسنتهم بما خالج مشاعرهم من إحساس بعظمة الله وصدق وعده ژ چ چ چ چ ڇ ڇ ژ ويغلبهم التأثر فلا تكفي الألفاظ في تصوير ما يجيش في صدروهم منه فإذا الدموع تنطلق معبرة عن ذلك التأثر الغامر الذي لا تصوره الألفاظ ژ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ فوق ما استقبلوه من خشوع .

إنه مشهد مصور لحالة شعورية غامرة يرسم تأثير هذا القرآن في القلوب

---

(١) تفسير القرطبي، جزء (٦) ص ٣٩٥٧، ط. دار الريان للتراث، والأثر في مسند الإمام الدارمي، برقم (١٩٩)، كتاب: العلم، باب: من ق،ال العلم: الخشي،ة وتقوى الله، وإسناده جيد، مجلد (١)، ص ٣٣٥، ط. دار المغني، السعودية، ٢٠٠٠م .

المتفتحة لاستقبال فيضه العارفة بطبيعته وقيمته بسبب ما أوتيت من العلم) [١] .

إنه الإخلاص علامة مسجلة لا يمكن تقليده، إنه البكاء من القلب تسانده العيون ولا يمكن محاكاته، إنه التأثر الغامر لا يُستطاع تمثيله ولكن تحصيله وتمثله ممكن .

فيا أهل العلم والدعوة ويا أهل الإيمان واليقين ويا أهل الفرائض والصلاة ويا أهل التصوف وجهاد النفس هلا ذرفنا دموعنا وسكبناها خشية من الله تعالى ورغبة فيما عنده؟

المطلب الرابع

القسيسون والرهبان يبكون عند معرفة الحق

قال تعالى: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ﴾ {المائدة: ٨٢، ٨٣} .

يقول الإمام ابن كثير في تفسيرها: (قال علي بن أبي طلحة: قال ابن عباس نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن بكوا حتى أخضلوا لحاهم .

وقال عطاء بن أبي رباح: هم قوم من أهل الحبشة أسلموا حين قدم عليهم مهاجرة الحبشة من المسلمين .

وقال قتادة: هم قوم كانوا على دين عيسى ابن مريم فلما رأوا المسلمين وسمعوا القرآن أسلموا ولم يتلعثموا واختار ابن جرير أن هذه الآية نزلت في صفة أقوام بهذه

---

(١) في ظلال القرآن، مجلد (٥) ص ٢٢٥٤، مرجع سابق .

المثابة سواء أكانوا من الحبشة أو غيرها) [١] .

ليس المهم مَنْ هؤلاء ولكن الأهم هو حالهم حيث سماع آيات الله .

(وجملة تفيض في موضع الحال والرؤية بصرية أي ذلك بسبب أنهم لا يستكبرون وأنهم إذا سمعوا القرآن رأيت أعينهم فائضة من الدمع وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم إبائهم إياه) [٢] .

والضمير في قوله تعالى: ﴿ٻ﴾ (يرجع إلى القسيسين والرهبان الذين آمنوا منهم قال ابن عباس: يريد النجاشي وأصحابه ذلك لأن جعفر الطيار قرأ عليهم سورة مريم فأخذ النجاشي تبنة من الأرض وقال: والله ما زاد على ما قال الله في الإنجيل مثل هذا، ومازالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة) [٣] .

ما الذي حل بالقوم حتى بكوا بكاءً حاراً أخضل لحاهم؟

لقد تفطرت قلوبهم للهدى وخضعت جوارحهم للآيات ففاضت أعينهم لما عرفوا من الحق لأنهم تلقوا القرآن بقلوبهم لا بأسماعهم ورأوه بمشاعرهم لا بأبصارهم ﴿ڀڀڀڀ ٺٺٺٺ﴾ {الشعراء: ١٩٣، ١٩٤} إن لم يتحرك القلب وتدمع العين لسماع القرآن فاعلم أن الأمر قد رق، وابحث حولك فلن تجد خاشعاً .

المطلب الخامس

المؤمنون يبكون أسفاً على فوات الجهاد

---

(١) تفسير القرآن العظيم، مجلد (٢) ص ٨٧، مرجع سابق .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، جزء (٧) ص ٤، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ .

(٣) مفاتيح الغيب، للإمام/ محمد الرازي فخر الدين، مجلد (٦) ص ٧٢، ط. دار الفكر، ١٩٨١م .

يبكي الجندي في ساحات الوغى واحتدام المعارك رغبة وحباً في الدنيا وخوفاً من فراقها لاحتمال مفارقة الحياة بين لحظة وأخرى .

أما أن يبكي رقيق الحال أو ضعيف البدن أو سقيم على عدم قدرته على تكاليف الجهاد في سبيل الله تعالى فهذا برهان الإخلاص ولا نزكي على الله أحداً، قال تعالى: ژ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ {التوبة: ٩١، ٩٢} .

يقول الإمام القرطبي: (نزلت في بني مقرن وعلى هذا جمهور المفسرين وكانوا سبعة إخوة كلهم صحبوا النبي ﷺ وليس في الصحابة سبعة إخوة غيرهم، وقيل نزلت في سبعة نفر من بطون شتى وهم البكاءون أتوا رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ليحملهم فلم يجد ما يحملهم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون فسموا البكائين) [١] .

فهؤلاء الصحابة غُيبوا عن الجهاد لأسباب أقوى منهم ومع ذلك حزنوا حزناً شديداً لفوات مواقف الجهاد والنصرة مع العلم أن الله تعالى عذرهم (فلا جناح على القادرين على الحرب ولكنهم لا يجدون الرواحل التي تحملهم إلى أرض المعركة فإذا حرموا المشاركة فيها لهذا السبب ألمت نفوسهم حتى لتفيض أعينهم دموعاً لأنهم لا يجدون ما ينفقون .

وإنها لصورة مؤثرة للرغبة الصحيحة في الجهاد والألم الصادق للحرمان من نعمة أدائه) [٢] .

---

(١) تفسير القرطبي، مجلد (٥) ص ٣٠٦٧، ط. دار الريان للتراث .

(٢) في ظلال القرآن، مجلد (٣) ص ١٦٨٥، ط. دار الشروق ١٩٨٧م، مرجع سابق .

وهذا حال صاحب الإيمان الصادق واليقين الجازم بأن ما عند الله من الجنة والنعيم خير وأبقى من الدنيا وما فيها .

المطلـب السادس

المشركون يضحكون عند سماع القرآن

أريد من خلال تناول تلك الصفة تنبيه المؤمنين للاحتراز منها والاتصاف بضدها من البكاء والاستماع والإنصات .

يقول تعالى: ژگگگںںڻڻڻۀہہہھھژ {النجم: ٥٩ . ٦٢} .

ومعنى الآيات: (ما لكم تستعجلون الضحك والاستهزاء به مع أنه الذي ينبغي أن تتأثر منه النفوس وتلين له القلوب وتبكي له العيون سماعاً لأمره ونهيه وإصغاء لوعده ووعيده والتفاتا لأخباره الصادقة الحسنة ژۀہژ أي غافلون لاهون عنه وعن تدبره وهذا من قله عقولكم وزيف أديانكم) [١] .

اعلم أن من يضحك أو يلهو عند سماع القرآن الكريم فهو قاسي القلب مخالف للأمر الإلهي ژۆۈۇٴۋۆۈۋژ {الأعراف: ٢٠٤}، إذ ينبغي أن يكون حال المؤمن عند سماع القرآن هو الإنصات والتدبر والتأثر والحزن والبكاء والوقوف عند الأمر بالفعل وعند النهي بالترك والاتعاظ بمصائر الغابرين .

(١) تفسير السعدي، ص ٧٨٧، مرجع سابق .

المطلب السابع
حال المنافقين مع البكـاء

وصف الله تعالى حال المنافقين مع المؤمنين المجاهدين وهو حال الاستهزاء والضحك والسخرية والفرح بالسلامة العاجلة والقعود عن الجهاد والتضحية فتوعدهم الله تعالى بقوله: ﮋﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﷼﷽ﮊ {التوبة: ٨٢}.

والمعنى (فليتمتعوا في هذه الدار المنقضية ويفرحوا بلذاتها ويلهوا بلعبها فسيبكون كثيراً في عذاب أليم) [١] .

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **﴿ يا أيها الناس أبكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ﴾** [٢] .

أيهما تختار لنفسك؟ الضحك القليل العاجل ثم البكاء الطويل الآجل؟ أم البكاء قليلاً هنا يتبعه ضحك كثير وسعادة غامرة في جنة الخلد؟

فمن كان دأبه البكاء في الدنيا خوفاً من الله سعد كثيراً وضحك طويلاً في الآخرة وتمتع بنعيم لا نهائي وهذا مأخوذ من مفهوم المخالفة من الآية الكريمة فلا يجمع الله تعالى على عبده خوفين ولا يجمع له أمنين .

---

(١) تفسير السعدي، ص ٣٢٥ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، رقم الحديث (٤٣٣٦)، كتاب: الزهد، باب (١٩) جزء (١)، ص ٦١٦ .

المطلـب الثامن
بكـاء السماء والأرض

قال تعالى تعقيباً على ذكر هلاك فرعون وجنوده: ژ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ژ {الدخان: ٢٩} .

هل تبكي السماء والأرض حقيقة أو مجازاً؟

إذا كان البكاء على الحقيقة فمعناه أمكنة نزول رزق العبد من السماء وصعود عمله وأمكنة أعماله الصالحة في الأرض .

وإذا كان البكاء مجازاً فمعناه أهل السماء والأرض .

(قيل في الكلام إضمار أي: ما بكى عليهم أهل السماء والأرض من الملائكة كقوله تعالى: ژ ﮒ ﮓ ﮔ ژ {يوسف: ٨٢} بل سروا بهلاكهم قاله الحسن وروى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان باب ينزل منه رزقه وباب يدخل منه كلامه وعمله فإذا مات فقداه فبكيا عليه ثم تـلا ژ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ژ {الدخان: ٢٩} .

يعني أنهم لم يعملوا على الأرض عملاً صالحاً تبكي عليهم لأجله ولا صعد لهم إلى السماء عمل صالح فتبكي فقد ذلك .

وقال مجاهد: إن السماء والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحاً ﴾ [١] .

فالسماء والأرض أو أهل السماء والأرض لا يبكون على ذهاب الطغاة وهلاك الكفار والظلمة والعصاة .

---

(١) تفسير القرطبي، مجلد (١٦) ص ١١٤٠، مرجع سابق .

(ذهب هؤلاء الطغاة الذين كانوا ملء الأعين والنفوس في هذه الأرض ذهبوا فلم يأس على ذهابهم أحد ولم تشعر بهم سماء ولا أرض ولم ينظروا أو يؤجلوا .

ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ وهو تعبير يلقي ظلال الهوان والجفاء فهؤلاء الطغاة المتعالون لم يشعر بهم أحد في أرض ولا سماء ولم يأسف عليهم أحد في أرض ولا سماء وذهبوا ذهاب النِّمَال وهم كانوا جبارين في هذه الأرض يطأون الناس بالنعال) [١] .

المطلب التاسع

دموع الكذب

قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليه السلام: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ {يوسف: ١٦} .

(لقد ألهاهم الحقد الفائر عن سبك الكذبة فلو كانوا أهدأ أعصاباً ما فعلوها منذ المرة الأولى التي يأذن لهم فيها يعقوب باصطحاب يوسف معهم ولكنهم كانوا معجلين لا يصبرون يخشون ألا تواتيهم الفرصة مرة أخرى كذلك كان التقاطهم لحكاية الذئب المكشوفة دليلاً على التسرع وقد كان أبوهم يحذرهم منها أمس وهم ينفونها ويكادون يتهكمون بها فلم يكن من المستساغ أن يذهبوا في الصباح ليتركوا يوسف للذئب الذي حذرهم أبوهم منه أمس) [٢] .

لقد كذب إخوة يوسف في بكائهم وكذبوا في قولهم وحالهم فهذا بكاء الكذب الممقوت والرياء المذموم والتصنع وإخفاء الحقيقة والله عليم بما يصنعون، فالذئب برئ والقوم كاذبون والدم مزور والحق غائب وفعلهم ممقوت غاية المقت .

---

(١) في ظلال القرآن، مجلد (٥) ص ٣٢١٤، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق، مجلد (٤) ص ١٩٧٦ .

وبين هذا النوع من البكاء وبين التباكي بون شاسع .

فالتباكي مأمور به ممدوح لمن لم يقدر على البكاء فيتكلفه طلباً للخشوع عند سماع القرآن في الصلاة أو خارج الصلاة، وفي الحديث: **﴿ فإن لم تبكوا فتباكوا ﴾** يعني إن لم يبك لأن القرآن لم يؤثر في قلبه فليبك أو يتباكي على قسوة القلب وجمود العين حتى يصير البكاء له عادة لازمة فيحضر قلبه وتبكي العيون تلقائياً .

أما بكاء الكذب أو دموع التماسيح لإخفاء الحق وتزوير الباطل فلاشك أن صاحبه آثم معاقب على كذب دموعه ورياء قلبه ولا يعلم ما في القلوب إلا من يقلبها سبحانه .

المبحث الثاني
البكاء في السنة النبوية

إن الناظر في الحديث الشريف يجد اهتماماً بالغاً بتلك الصفة من حيث إنه ﷺ بين فضل البكاء بل أمر به أحياناً وبين أسبابه ودوافعه التي تؤدي إلى حصوله كسماع القرآن أو موعظة مؤثرة أو غير ذلك من الأسباب .

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فضل البكاء .

المطلب الثاني: أسباب البكاء ودوافعه .،

المطلب الثالث: نماذج من البكائين .

المطلب الأول
فضل البكاء

لقد وردت أحاديث كثيرة تبين أن البكاء منزلة عليا وأن الباكي صاحب قلب حي وأن البكاء من خشية الله تعالى في الدنيا منجاة من العذاب في الآخرة .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ **من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة** ﴾ [١] .

. فالذكر الخاشع يجعل العين تفيض بالدموع .

. وسبب البكاء الخشية والهيبة لجلال الله .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٤رقم الحديث (٧٦٦٨)، كتاب: التوبة والزهد، جزء (٤) ص ٢٨٩، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م .

. وقد كثر البكاء وفاضت الدموع حتى أصابت الأرض .

. ويدل ذلك على وجود قلب حي خاضع خاشع لأن صاحب القلب القاسي لا يبكي .

. هذه الحالة الإيمانية الراقية تكون سبباً لنجاة الباكي يوم القيامة .

. ومن مفهوم المخالفة يتضح أنه إذا نجا الباكي من العذاب فإنه سيكون في نعيم مقيم .

. والضامن لكل ذلك هو رسول الله ﷺ الذي جزم بعدم تعذيب الله لصاحب الدموع.

. وما على العبد إلا أن يحرص أن يكون لسانه رطباً بذكر الله تعالى وأن يواطيء قلبه لسانه حال الذكر .

. كما أن الله سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فهو يعلم أن عبده يبكي من خشيته لأنه ﷻ قد أحاط بكل شيء علماً .

وفي نفس المعنى ورد حديث آخر: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:**

الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ﴾ [1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٦٦٣، كتاب: الأذان، باب (٣٦) من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، جزء (١) ص ١٢٧، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٢٧)، كتاب: الزكاة ، باب (٣١) فضل إخفاء الصدقة جزء (١) ص ٤٠٥ .

. فالرجل (ويشمل المرأة) فاضت عيناه من ذكر الله .

. ولم يطلع أحد عليه فقد كان خالياً وهذه الحال من أكبر المعينات على الخشوع والبكاء .

. وكونه يستظل بظل العرش يبشره بما يعده من نعيم الجنة .

. وإن الدموع التي أريقت في الدنيا خوفاً من الله تجعل صاحبها ناجياً من حرارة الشمس التي تدنو من رءوس الخلائق ويغرق الناس في عرقهم على قدر أعمالهم وإخلاصهم .

وعن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **﴿ ليس شيء أحب الله من قطرتين وأثرين قطرة من دموع في خشية الله وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من فرائض الله ﴾** (١) .

. إن سكب العبرات من أحب الأشياء إلى الله تعالى .

. ليس المقصود هو القطرة المفردة وإنما هي اسم جنس .

. إن الدموع إذا سالت فإنها تبدأ بقطرة أو قطرتين ثم تنهمر .

. فهلا فعل المؤمنون شيئاً يحبه الإله سبحانه؟

. لم يشر الحديث إلى سبب إراقة الدموع من ذكر أو سماع قرآن أو وجل قلب أو حزن حاضر أو تذكر شيء مضى أو خوف من مستقبل وإنما أشار إلى النتيجة مباشرة وإلا فلكل شيء سبب .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث (١٧٧٠)، كتاب: فضائل الجهاد، باب (٢٦) ما جاء في فضل المرابط، جزء (١) ص ٤٤٨، وقال: حديث حسن غريب .

. ويا حبذا لو اجتمع للعبد كل ما في الحديث من القطرتين والأثرين فيكون العبد مجاهداً في سبيل الله قد اغبرت قدماه مضحياً بنفسه حتى سال دمه قائماً بفريضة من الفرائض سائلةً دموعه من خشية الله تعالى .

. إن الإخلاص شرط صحة تلك الأعمال كلها لأنها مقيدة بأن تكون في سبيل الله .

وعن ابن عباس . { . قال: سمعت رسول لله ﷺ يقول: **﴿ عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله ﴾** [١] .

. لا تبكي العينان إلا لحزن أو خوف في القلب أو ألم بالبدن .

. لن تمس النار العينين ولا صاحبهما إذ لا يتصور أن تنجو العينان دون من بكي .

. قد يبكي العبد في صلاته أو خارجها في بيته أو في عمله مقيماً كان أو ظاعناً المهم أن يكون البكاء من خشية الله .

. (عباد بن بشر ﷺ أمره رسول الله ﷺ بحراسة الجيش ومعه عمار بن ياسر فنام عمار أول الليل وقام عباد يصلي ويحرس فتحقق فيه الحديث بتمامه بل وسال دمه في سبيل الله حينما رماه أحد المشركين بسهم فنزعه وأكمل صلاته فرماه بثان فنزعه وأتم القراءة فرماه بثالث حتى خارت قواه فأيقظ عماراً فلما رأى ما بأخيه قال: هلا أيقظتني عند أول سهم؟

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث (١٧٤٠)، كتاب: فضائل الجهاد، باب (١٢) ما جاء في فضل الحرْس في سبيل الله، جزء (١) ص ٤٤٢، وقال: وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة، وحديث ابن عباس حسن لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رزيق . .

فقال: كنت في سورة فكرهت أن أقطعها ولولا أني خفت من أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لكان قطع نفسي أحب إلى من قطعها) [١] .

لم يخشى عَبّاد على نفسه وإنما على الثغر حتى لا يؤتى المسلمون من قِبَله.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿ لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم ﴾** [٢].

. لقد بلغت العبارة النبوية في صدر الحديث غاية التطمين للباكين فإذا لم يعُد اللبن في الضرع لأنه محال فإن الباكي لن يعذب بالنار .

. يلاحظ أن النبي ﷺ قد جمع بين البكاء من خشية الله وبين الجهاد أو بذل الجهد في سبيل الله في هذا الحديث، وفي حديث ابن عباس . { . وفي حديث أبي أمامة ﷺ وكأنه يريد أن يقول إن العبد إذا بكى من خشية الله وجاهد في سبيل الله أو بذل جهده فيما يرضي الله تعالى فقد جمع الفضائل كلها وكان راهباً بالليل فارساً بالنهار كما كان أصحاب رسول الله ﷺ .

الأمـر بالبكــاء:

ورد في حديث أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالبكاء في حال معينة، فعن ابن عمر . { . **﴿ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه لما وصلوا الحِجْر (ديار ثمود) لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا**

---

(١) البداية والنهاية، الإمام/ ابن كثير، جزء (٤) ص ٤٦٧، ط. دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث (١٧٣٣)، كتاب: فضائل الجهاد، باب (٨) ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله، وقال: حديث حسن صحيح، جزء (١) ص ٤٤٠، وأخرجه الإمام/ النسائي في سننه، رقم الحديث (٣١٢١، كتاب: الجهاد، باب (٨) فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، ص ٥٠٣ .

عليهم لا يصيبكم ما أصابهم ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادي ﴾ [١] .

. أمر نبوي بالبكاء عند المرور بديار المعذبين الذين كفروا وظلموا أنفسهم وغيرهم .

. والبكاء ناتج عن التفكر في مصائر الهالكين للاعتبار والانزجار .

. يحذر أصحابه والمسلمين جميعاً من ارتكاب مثل ما فعلوه حتى لا يعذبوا مثلهم .

. إن عذاب الله ليس ببعيد عن الظالمين المتجبرين في الأرض .

المطلب الثاني

أسباب البكاء ودوافعه

للبكاء أسباب عديدة متنوعة لكن يجمعها إما تأثر غامر أو ألم حاضر أو تذكر ماض مبك أو خوف من مستقبل غامض .

والتأثر الغامر إما أن يكون لسماع آية أو بعض آيات من القرآن الكريم في الصلاة أو خارج الصلاة أو لسماع موعظة مؤثرة عن داعية ناصح ويكون التأثر بالخشوع والبكاء ناتجاً عن علم صحيح نافع .

والألم الحاضر يتحقق بحصول مرض في نفسه أو مرض أحد أحبابه ورؤية أحوال المرضى والفقراء والمعوقين وذلك من خلال رؤيتهم أو زيارتهم فيتألم العبد لغيره

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٦٣، كتاب: المغازي، باب (٨٢) نزول النبي ﷺ الحجر جزء (٢) ص ٨٨٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٧٦٥٥)، كتاب: الزهد والرقائق، باب (٢) لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، جزء (٢) ص ١٢٥٣ .

أو لنفسه، أما تذكر الماضي المبكي فيكون من خلال ذكر الصالحين الذين ماتوا أو الأقارب والأحباب والعلماء .

أما الخوف فإما أن يكون من الآخرة وما فيها من العذاب أو فوت النعيم أو هول الموقف بين يدي الملك الجبار، وإما أن يخاف العبد من الغيب القريب في الدنيا مما طوي الله عنه علمه .

هذا ويلاحظ أن مشاعر الحزن والألم والخوف قد تتداخل بعضها في بعض وقد يصاحبها ذرف الدموع بحيث لا يستطيع الباكي نفسه أو من يلاحظه أن يفرق بين تلك المشاعر، وما ذلك التقسيم إلا لجمع المادة العلمية وترتيبها .

أما التأثر الغامر لسماع القرآن الكريم أو موعظة مؤثرة فقد وردت أحاديث كثيرة تبين ذلك أسوق منها ثلاثة أحاديث وأقف مع كل حديث للاستفادة والإفادة .

عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: **﴿ أقرأ عليّ قال: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإني أحب أن أسمعه من غيري فقرأ سورة النساء حتى قوله تعالى: ژڈڈڑژ ڑڑکککگگگژ {النساء: ٤١} فالتفت فإذا عيناه تذرفان ﴾** [(١)] .

إن لسماع القرآن لذة في آذان وقلوب المؤمنين وعلى السماع يترتب ثواب خاص بخلاف قراءته، وكلما تفكر المستمع وتدبر كلما وصلت المعاني إلى سويداء قلبه وتعمق

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٦٢٥)، كتاب: التفسير، باب (٩) فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً، جزء (٢) ص ٩٢١، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٩٠٥)، كتاب: صلاة المسافرين، باب (٤٠) فضل استماع القرآن، جزء (١) ص ٣١٦ .

الإيمان واليقين في نفسه بحيث يزداد العبد إيماناً كما قال تعالى: ژٹٹٹڤڤڤڤڦڦڄڄ ڄڄڃ {الأنفال: ٢} .

وما تؤثر آيات الكتاب إلا في القلب الحي النابض بالإيمان الخائف من رب العزة والجلال الراجي رحمة الرحمن ژڻڻڻڻۀۀہہہہھھ {ق: ٣٧} .

أما التأثر والبكاء لسماع موعظة مؤثرة، فقد روي العرباض بن سارية ﷺ حديثاً يقول فيه: **﴿ وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فبماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم فسيري اختلافاً كثيراً وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ﴾** (١) .

إن بكاء الصحابة ﷺ برهان جلي على نقاء قلوبهم وإخلاص سرائرهم ونظافة نفوسهم بحيث استقبلوا الموعظة بالقلوب لا بالأسماع فوقعت من أرواحهم موقع الماء الطهور على الأرض العطشى فخشعت قلوبهم وسالت دموعهم .

وكذلك تُحْدِث الموعظة أثرها المرجو إذا صدرت من داعية مخلص ناصح عالم فقيه متحقق بالعلم النافع والعمل الصالح حريص على هداية الناس ببذل جهده في ذلك ما استطاع إليه سبيلا .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: **﴿ بَلَغَ رسول الله ﷺ شيءٌ فخطب فقال:**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه،رقم الحديث (٢٨٩١)، كتاب: العلم، باب (١٦) ما جاء في الأخذ بالسنة واجتنبا البدع، جزء (٢) ص ٦٨١، وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجة في المقدمة، رقم الحديث (٤٤)، باب (٦) أتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، جزء (١) ص ٨ .

عُرضت عليّ الجنّةُ والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً قال: فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه قال: غطوا رؤوسهم ولهم خنين ﴾ [1] .

إن مدار التأثر والتأثير والموعظة والاتعاظ على سلامة وصحة جهازي الإرسال والاستقبال فلو اختل أحدهما لضاع الاتصال والتأثير .

لما سمع الحسن البصري رجلا يعظ فلم يتأثر بموعظته فقال له بعد أن انتهى من كلامه: يا هذا إما بي أو بك .

يعني إما العيب عندي أو عندك لأنه لم يتحرك قلبه للسماع ولم يزدد إيماناً .

وبذلك يتضح اليوم لماذا قل التأثر والتأثير والخشوع والبكاء عند كثير من المسلمين؟ فإما أن يكون الخلل في الإرسال (الداعية) أو في الاستقبال (المدعوين) وإما أن يكون الخلل فيهما جميعاً .

وسؤال يطرح نفسه في هذا المقام: لماذا كان الصحابة يبكون وهم أفضل البشر بعد الأنبياء ولا نبكي وأين نحن منهم؟

وللجواب أقول: كلما ازداد العبد علماً كلما ازداد خوفاً وكلما ازداد خوفاً كلما ازداد قرباً من الله تعالى ژ □ □ □ ژ {الذاريات: ٥٠}، فكل شيء نخافه نفر منه إلا الله كلما خفنا اقتربنا منه فبكاء الصحابة والتابعين والصالحين برهان ساطع على علمهم وجهلنا وعلى خوفهم وأمننا وعلى قربهم وبعدنا .

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث (٤٦٦٤)، كتاب: التفسير، باب (١٢) لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسوؤكم، جزء (٢) ص ٩٢٩، وأخرجه مسلم، رقم الحديث (٦٢٦٨)، كتاب: الفضائل، باب (٣٧) توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، جزء (٢) ص ١٠٠٩ .

أما البكاء حزناً لمرض الغير، فقد ﴿ **اشتكي سعد بن عبادة فاتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود فلما دخل في غشية قال: قد مضى قالوا: لا يا رسول الله فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاءه بكوا فقال: ألا تسمعون: إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم** ﴾ [١] .

. اصطحب النبي ﷺ نفراً من أصحابه لزيارة مريض .

. بلغ تأثر النبي ﷺ إلى درجة البكاء .

. قد يفتح الله على العبد بدموع الخوف أو الرجاء إذا رأى غيره يبكي .

. ليست الخطورة في دموع العين أو حزن القلب وإنما في أفعال اللسان والجوارح كلها .

فإذا دمعت العين أو حزن القلب مع عدم الخروج إلى ما يغضب الرب فلا حرج على العبد .

أما البكاء حزناً لموت الولد، فعن جابر بن عبد الله قال: ﴿ **أخذ النبي ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف فانطلق به إلى ابنه إبراهيم فوجده يجود بنفسه فأخذه النبي ﷺ فوضعه على حجره فبكى فقال له عبد الرحمن: أتبكي أو لم تكن نهيت على البكاء، قال: لا ولكن نهيت عن صوتين فاجرين صوت عند مصيبة خمش**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث (١٣١٦)، كتاب: الجنائز، باب (٤٤) البكاء عند المريض، جزء (١) ص ٢٤٥، وأخرجه مسلم، رقم الحديث (٢١٧٦)، كتاب: الجنائز، باب (٦) البكاء على الميت، جزء (١) ص ٣٦٢ .

وجوه وشق جيوب ورنة شيطان ﴾ [١] .

وفي حديث آخر في نفس الحادثة قال ﷺ: **﴿ إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون ﴾** [٢] .

إن الناس قد اعتادوا في حياتهم أن يموت الأب أو الأم ويتولى أودلاهما الجهاز إلى المقابر ويحزنون لذلك زمناُ ثم يعودون إلى حالهم الأول لممارسة حياتهم بشكل طبيعي وكلما تذكروا من حين لأخر دعوا لآبائهم وأمهاتهم بالرحمة والرضوان .

أما أن يموت الابن ويتولى أبوه جنازته ودفنه فهذا مما لا تحيط ألفاظ اللغة بمقدار الحزن وعمقه وإحاطته بالوالد المكلوم الجريح الذي ينظر إلى امتداد أثره وأمله المرتقب فيجده مبدداً مع لوعة الفراق وألم الفقدان ومرارة الوداع .

ولا يخفف كل ذلك إلا إذا كان الولد صالحاً براً تقياً عاش حياته لله ومات في سبيل الله فيرجى أن تشمله رحمة الله .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ **أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث (١٠٢١)، كتاب: الجنائز، باب (٢٥) ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت، جزء (١)، ص ٢٧٠، وقال: حديث حسن .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري، رقم الحديث (١٣١٥)، كتاب: الجنائز، باب (٤٣) قول النبي ﷺ: إنا بك لمحزونون، جزء (١) ص ٢٤٤، وأخرجه مسلم، رقم الحديث (٦١٦٧، كتاب: الفضائل، باب (١٥) رحمته ﷺ الصبيان والعيال، جزء (٢) ص ٩٩٦ .

قال: يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى ﴾ [١] .

إذا ضعف الإيمان واليقين في قلب عبد أنِس بالدنيا وما فيها فتراه يفرح لزيادتها ويحزن لفراقها أما إذا قوي يقينه فإنه يعتقد في قرارة نفسه وسويداء قلبه أن موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها .

أما البكاء لزيارة المقابر فإن رؤية القبر والتفكر في المصير يحرك القلوب القاسية ويسيل الدموع الجامدة ويحرك الهمم الخامدة ويدفع للعمل الصالح الذي ينير القبور لساكنيها .

فعن أبي هريرة ﷺ قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكي وأبكى من حوله فقال: ﴿ **استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت ﴾** [٢]، فزيارة القبور بضوابطها الشرعية سنة مهجورة .

وعن هانئ مولى عثمان ﷺ قال: ﴿ **كان عثمان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا قال: إن رسول الله ﷺ قال: إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر وإن**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٨٤٦)، كتاب: الجهاد، باب (١٤) من أتاه سهم غرب فقتله، جزء (٢) ص ٥٤٧ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٣٠٤)، كتاب: الجنائز، باب (٣٦) استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه، جز (١) ص ٣٨٣ .

لم ينج منه فما بعده أشد منه ﴾ [١] .

إن رؤية القبر تؤثر في القلب الحي النابض بالإيمان الخائف من رب العزة والجلال فالقبر أول منزل من منازل الآخرة وفيه نماذج مما سيقع من النعيم أو العذاب فنجاة العبد من عذاب القبر يبشر بنجاته في الآخرة .

وينبغي للعبد أن يلازم الخوف من المصير والعاقبة قلبه ففي ذلك صلاحه .

عن عمران بن حصين ﷺ **﴿ أن النبي ﷺ لما نزلت ژ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ژ {الحج: ١} قال: أنزلت عليه هذه الآية وهو في سفر فقال: أتدري أي يوم ذلك فقالوا: الله ورسوله أعلم قال: ذاك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار قال: يارب وما بعث النار؟ قال: تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فأنشأ المسلمون يبكون فقال رسول الله ﷺ: قاربوا وسددوا فإنه لم تكن نبوة إلا كان بين يديها جاهلية، قال: فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلا كملت من المنافقين وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير ثم قال: إني لأرجوا أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا ثم قال: إني لأرجوا أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا ثم قال: إني لأرجوا أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا ﴾** [٢] .

. إن النبي ﷺ أنذر أصحابه ثم بشرهم وتلك مهمة الداعية .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث (٢٤٧٨)، كتاب: الزهد، باب (٥) جزء (٢) ص ٥٩٤، وقال: حديث حسن غريب، وأخرجه ابن ماجة في سننه، رقم الحديث (٤٤٠٨)، كتاب: الزهد، باب (٣٢) ذكر القبر والبِلَى، جزء (١) ص ٦٢٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث (٣٤٦٦)، كتاب: تفسير القرآن، باب (٢٣) ومن سورة الحج، جزء (٢) ص ٨٠٥، وقال: حديث حسن صحيح .

. أثر حديثه ﷺ في أصحابه بالبكاء أولاً ثم بالبشارة ثانياً .

. إن الخوف من المصير والعاقبة إذا فارق قلب المؤمن فسر حاله .

أما البكاء لزيارة الصالحين أو تذكرهم، فقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **﴿ قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها فلما انتهينا إليها بكت فقالا لها: ما يبكيك ما عند الله خير لرسوله ﷺ، فقالت: ما أبكي ألا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ ولكن أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها ﴾** (١) .

لقد حرص أبو بكر، وعمر . { . على رؤية أم أيمن وزيارتها وسماع كلامها اقتداء برسول الله ﷺ .

. يلاحظ أن الزيارة أحدثت أثراً كبيراً وأثارت أحزاناً قديمة في قلبي الزائرين .

. إن الكلام الصادق المترجم عن القلب الحي يُبكي صاحب القلب السليم .

. كيف يعيش الناس في هداية وقد انقطع الوحي من السماء لكن دين الله قد اكتمل ونعمة الله قد تمت ژچچچچچچديدتژ {المائدة: ٣} .

أما البكاء لمجرد رؤية البيت العتيق، فعن ابن عمر قال: **﴿ استقبل رسول الله ﷺ الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً فالتفت فإذا هو**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٦٤٧٢)، كتاب: فضائل الصحابة، باب (١٨) فضائل أم أيمن. < ، جزء (٢) ص ١٠٤٩، وأخرجه ابن ماجة في سننه، رقم الحديث (١٧٠٤)، كتاب: الجنائز، باب (٦٥)،جزء (١) ص ٢٣٨.

بعمر يبكي فقال: يا عمر ههنا تسكب العبرات ﴾ [١] .

. إن تلك الحال من الخشوع والبكاء أصابت كثيرين من الحجاج عندما اكتحلت عيونهم برؤية أول بيت وضع لعبادة الله في الأرض قال تعالى: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ڻ ژ {آل عمران: ٩٦} .

. وأن تذكر ماضي الأسلاف ورؤية ما أحدثه الأخلاف في المقدسات يثير الأحزان ويدمي القلب ويسيل المدامع .

. إن الحجر الأسود رمز ليمين الله في الأرض وكأن الحاج عند استلامه أو رؤيته للحجر يعاهد الله تعالى على الاستقامة بعد أداء الفريضة إلى أن يفارق الدنيا.

. إن واجب الأحفاد حفظ تراث الأجداد من حيث الصورة والمضمون معاً فالكعبة بنتها الملائكة وطاف بها آدم عليه السلام، رفع القواعد من البيت إبراهيم وإسماعيل ٨، وشارك في بنائه رسول الله ﷺ قبل البعثة ولكن ليس على قواعد إبراهيم عليه السلام ثم جدده بعض الخلفاء وانتهك حرماته بعض أمراء البطش والظلم والجبروت، أما اليوم فالكعبة رمز لتجميع الأمة الإسلامية ولكن الواقع فرقة وشتات وقتل وقتال بين أبناء الأمة الواحدة بل الشعب الواحد وما قدسية الكعبة بأعظم من قدسية دماء المسلمين المراقة فعند ذلك تُسكب العبرات ويُسعى إلى تغيير الواقع الأليم .

﴿ وعن عبد الله بن عمر { قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، رقم الحديث (٣٠٥٨)، كتاب: المناسك، باب (٢٧) استلام الحجر، جزء (١) ص ٤٣٠ .

أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه وأن نظن به إلا خيراً ﴾ [١] .

وقد يبكي الحاج أو المعتمر عند رؤيته البيت العتيق تذكراً لسالف ذنوبه في فيجدد التوبة والندم .

أو يبكي لأن فلاناً من أقاربه كان يتمنى لو أدى الفريضة فعاجلته المنية قبل الأمنية .

أو تسيل دموع الحاج لذكراه رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ وكيف وطئت الأقدام الشريفة تلك الأماكن الطاهرة هذه الأقدام التي ما سارت في الدنيا إلا عبادة لله أو جهاداً في سبيل الله أو تعميراً للأرض أو تعليماً للعالمين .

فها هنا . للمكان والحال والذكرى . تسكب العبرات .

المطلب الثالث

نماذج من البكائين

يكاد العلماء والدعاة والصالحون وأرباب العبادة والسهر والتقى والنسك من السلف والخلف يجمعون على أن البكاء من خشية الله تعالى شارة الصالحين وسيماء العلماء وتاج الدعاة وخاصية العُبّاد وعلامة الورع والتقوى .

وعند مطالعة أحوال السلف الصالح يجد القارئ أن البكاء عند جميعهم قاسم مشترك وصفة لازمة وعلامة مسجلة .

إذ كيف يكون العبد عابداً والصالح صالحاً والتقي تقياً والعالم عالماً حقاً

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، رقم الحديث (٤٠٦٧) كتاب: الفتن، باب (٢) حرمة دم المؤمن وماله، جزء (١) ص ٥٦٧ .

والخطيب داعية إذا لم يكحل عينيه بالدموع ويمتلئ قلبه بالأحزان ويصيب بدنه الإرهاق من العبادة والعمل الصالح؟

بكـاء رسول الله ﷺ:

لقد مر في المطلب السابق كيف كان رسول الله ﷺ يبكي عند سماع القرآن الكريم وفي قيامه للصلاة أو عند رؤيته للكعبة أو غير ذلك من المبكيات وما أكثرها، **﴿ عن مطرف عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء ﴾** (١) .

أبو بكر رضي الله عنه:

كان رضي الله عنه بكاء وخاصة في الصلاة عند تلاوته للقرآن الكريم، فعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: **﴿ لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين ﴾** (٢) .

إن أبا بكر رضي الله عنه كان يمتلك قلباً صالحاً فصلحت جوارحه كلها فاقشعر جلده لأن الحزن ساكن قلبه، ودمعت عيناه وخشعت جوارحه للصلاة وقراءة القرآن الكريم وفي الحديث .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٩٠٤) كتاب: الصلاة، باب (١٦٣) البكاء في الصلاة، جزء (١) ص ١٥٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٧٦)، كتاب: الصلاة، باب (٨٦) المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس، جزء (١) ص ٩٧ .

﴿ ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ﴾ [١] .

. إن سماع أبناء المشركين ونساءهم لقراءة أبي بكر ﷺ وهو يبكي في الصلاة افزع أشراف قريش فخافوا الفتنة على أبنائهم ونسائهم من الدخول في الدين الحق فحاولوا منعه من ذلك .

. فأبو بكر ﷺ مثال للخاشع المتبتل والمجاهد لنفسه في ذات الله والمجاهد لغيره من الكافرين والمنافقين فهو نموذج ومثال وقدوة بعد القدوة الأولى والمثل الأعلى ﷺ .

أم المؤمنين عائشة ـ < ـ:

قال القاسم: **﴿ كنت إذا غدوت ابدأ ببيت عائشة أسلم عليها فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ ژۉۉۋۋېېپپژ {الطور: ٢٧} وتدعو وتبكي وترددها فقمت حتى مللت القيام فذهبت إلى السوق لحاجتي فرجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي ﴾** [٢] .

إن النساء أرق أفئدة وألين طبعاً وأسرع دموعاً من الرجال بصفة عامة، فإذا كانت المرأة صالحة ذات عقيدة سليمة فإن ذلك ينعكس على عبادتها بالخشوع والبكاء وعلى علاقتها بالناس بالبر والإحسان وعلاقتها بالله تعالى بالصدق والإخلاص فكيف إذا كانت المرأة صحابية بل من أمهات المؤمنين فلا أزكي ولا أطهر ولا أعبد .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٢)، كتاب: الإيمان، باب (٥٢) فضل من استبرأ لدينه، جزء (١)، ص ١٦ .

(٢) صفة الصفوة، للإمام/ ابن الجوزي، جزء (١) ص ١٧٨ .

عمـــر رضي الله عنه:

عن عبد الله بن عيسى قال: **﴿ كان في وجه عمر خطان أسودان من البكاء، قال هشام بن الحسن: كان عمر يمر بالآية في ورده فتخنقه العبرة فيبكي حتى يسقط ثم يلزم بيته حتى يعاد يحسبونه مريضاً ﴾** (١)

أهكذا تغير الآية الواحدة كيانه الشديد في الحق المجاهد في سبيل الله الذي يخشاه أعداؤه كما يهابه أصحابه؟

لقد بلغ به التأثر مداه فغير حاله وسبب له مرضاً عضوياً فلزم الفراش حتى عاده الناس ولا يدرون ما سبب مرضه وما هو إلا أن قرأ آية من القرآن .

هكذا كان الصحابة يتلقون القرآن بقلوبهم لا بالأسماع فعرفوا حدوده وعندها وقفوا أحلوا حلاله وحرموا حرامه عملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه، أما اليوم فقد يقرأ أحدنا المصحف من أوله إلى آخره لا يذرف دمعة واحدة وحاله لا يتغير إلا من رحم الله وقليل ما هم .

---

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم، جزء (١) ص ٢٦ .

يبكـي لذكـرى أخيـه:

عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن عوف أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أتى بطعام وكان صائماً فقال: **﴿ قُتل مصعب بن عمير ﷺ وهو خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة إن غطي بها رأسه بدت رجلاه وإن غطى بها رجلاه بدا رأسه ثم بُسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا قد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام ﴾** (١) .

إن تذكر عبد الرحمن ﷺ لأخيه الشهيد مصعب ﷺ ومرور طيفه بخياله والعهد به قريب قد نغص عليه عيشه وكدر حياته حتى فقد شهيته للطعام وهو جائع من صيام ألا ما أصفي وما أزكى قلوب الصحابة الذين جاهدوا في سبيل الله ولم تشغلهم الدنيا عن ذكر الله وعن الصلاة .

أذان بلال يبكي الصحابــة:

عن عبد الله بن جابر وغيرهما أن بلالاً لم يؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ وأراد الجهاد فأراد أبو بكر منعه وحبسه فقال: **﴿ إن كنت أعتقتني لله فلا تحبسني عن الجهاد وإن كنت أعتقتني لنفسك أقمت فخلي سبيله وكان بالشام حتى قدم عليهم عمر بن الخطاب ﷺ الجابية فسأل المسلمون عمر بن الخطاب أن يسال لهم بلالاً يؤذن لهم فسأله فأذن لهم يوماً صلاة واحدة قالوا: فلم يُر يوماً كان أكثر باكياً منهم يومئذ حين سمعوا صوته ذكراً منهم لرسول الله ﷺ ﴾** (٢) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٢٢٨)، كتاب: الجنائز، باب (٢٦) إذا لم يوجد غلا ثوب واحد، جزء (١) ص ٢٣٩ .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب: الصلاة، جزء (١) ص ٤١٩ .

أرأيت إلى طفل ضرير قعيد مات أبوه وهو صغير فربته أمه وعلمته القرآن الكريم والعلم حتى صار عالماً داعية وكانت أمه كل شيء في حياته كيف يصف الواصفون شعوره بعد وفاتها حيث فقد الظهر والمعين والمعلم والمربي والرحمة والشفقة والرعاية والعناية، لقد تذكرها بعد سنين من وفاتها بل لا تفارق خياله لحظة، ولكن مرت به بعض الذكريات أهاجت أحزانه .

فيكف والحال هكذا في فقد الصحابة رحمةَ الله للعالمين بعد أن كان بين أظهرهم يعلم ويربي وينصح ويصلح ويجاهد معهم ويأكل ويشرب بحيث لا يخفى عليهم شيء من تفصيلات حياته لأنه القدوة والمثل الأعلى ﴿ئوئۇ ئۇئۆئۆئۈئې﴾ {الأحزاب: ٢١} .

على الرغم من أنه باق فيهم وفينا ﴿ڦڦڄڄڄ﴾ {الحجرات: ٧} وذلك بالقرآن الذي بلغه وبهديه وسنته وآثار جهاده والدولة التي أسسها والخير العميم الذي نشره .

لقد أثار أذان بلال ﷺ بعد سنين من لحاقه ﷺ بالرفيق الأعلى . أثار أحزاناً ونكأ جراحاً أوشكت أن تندمل وحرك مشاعراً وجعل الذكريات الطيبة والأيام الجميلة كأنها حية مشاهدة وواقعة ملموسة ألا ما أرق تلك القلوب وأصفاها! .

يبكـــي الليل كلـــه:

عن سفيان قال: **﴿ بلغنا أن أم الربيع بن خيثم كانت تنادي ابنها الربيع فتقول يا بني يا ربيع ألا تنام فيقول: يا أمه من جن عليه الليل وهو يخاف البيات حق له ألا ينام، قال: فلما بلغ ورأت ما يلقى من البكاء والسهر نادته فقالت: يا بني لعلك قتلت قتيلاً، قال: نعم يا والدة قد قتلت قتيلاً، قالت: ومن هذا القتيل يا بني حتى يتحمل على أهله فيعفون والله لو يعلمون ما تلقي به البكاء والسهر بعد لقد رحموك**

فيقول: يا والدة هذه نفسي ﴾ [١] .

قد يصل العابد لدرجة من الرقي الروحي والصفاء النفسي وخشوع القلب والجوارح ما يجعله في لحظة يزدري نفسه ويراها مذنبة مقصرة في حق ذي العزة والجلال وتزيد حالته قرباً وإخباتاً بأن يذل نفسه لله ويرهق جوارحه في عبادته ثم يرى أنه لم يفعل شيئاً لأن ما فعله من طبيعة العابد فلا يستغرب .

يبكـي نـهاره أجمـع:

(قال أشعث الحداني انطلقوا إلى حبيب بن أبي محمد نسلم عليه، قال: وذاك عند ارتفاع النهار فانطلقنا معه فسلم فخرج حبيب أبو محمد فأخذ في البكاء فمازالوا يبكون حتى حضرت الظهر قال: فصلينا فأخذوا في البكاء فمازالوا يبكون حضرت العصر فمازالوا يبكون حتى حضرت المغرب ثم أدنينا حماره فركب فقال: إن ناساً ينهون عن هذا فأطيعهم؟ قلنا: أنت أعلم، قال: إذا والله لا أطيعهم) [٢] .

إنها مجالس البكاء وسكب العبرات ولا تخلو من تذكير وقراءة قرآن ومواعظ حسان مما يحرك القلوب بالحزن والخشوع ويحرك العيون بالعبرات والدموع ويحرك الجوارح بالذل والخضوع فينصلح حال العبد ويكون كما يريد الرب تعالى .

ثم هي بركة الاجتماع وحلاوة اللقاء وفائدة الصحبة لأن العبد قد لا يبكي وحده . وإن كان هذا هو الأصل والأبعد عن الرياء . فإذا جعل نفسه بين قوم صالحين يصلون ويبكون أصابه ما أصابهم ونعمت الإصابة .

شعـرة تذكره بالصراط:

---

(١) حلية الأولياء، مجلد (٢) ص ١١٤، مرجع سابق .

(٢) صفة الصفوة، جزء (١) ص ٣٨٥ .

عن أبي مريم قال: (قلت لأبي عبد الله البراثي كم تبكي هذا البكاء فأخرج إليّ يده وإذا على أصبعه شعرة ملفوفة فنشرها ثم قال: إذا كان المجاز على مثل هذه فأي قدم يثبت على مثل هذا ثم بكى) [١] .

إن كل ما في الدنيا يذكر المؤمن بما عند الله تعلى من نعيم أو عذاب أو أهوال البعث والقيامة .

فإذا جلس لتناول الطعام تفكر فيه كيف أخرجه الله من الأرض الميتة مختلف الطعوم والأشكال والألوان، ﴿ک ک ک ک گ﴾ {عبس: ٢٤}، وإذا شرب عذباً تذكر الكوثر المعسول حوض الرسول ﷺ، ﴿ڈ ڈ ڈ ڈ﴾ {الكوثر:١}، وإذا شاهد نار الدنيا التي يطهى بها الطعام حتى ينضج تذكر نار الآخرة: ﴿ۇ ۇ ۆ ۆ﴾ {التحريم: ٦} .

فهذا الرجل يذكر نفسه دائماً بالجواز على الصراط الأدق من الشعرة والأحد من السيف وذلك عن طريق شعرة دقيقة ويبكي، لأنه لن يستطيع الجواز على شيء دقيق جداً هكذا ثم يجتهد في العمل الصالح وحب الخير للناس أجمعين لعل الله تعالى ينجيه من الصراط وما بعده .

إذا أراد الباحث استقصاء نماذج البكائين من السلف لما استطاع لكثرتها ولأن البكاء عادة العُبّاد وشارة الصالحين وسيماء المؤمنين وروح العبادة وحلاوة الإيمان ومحرك الأشواق إلى الخلاق .

فالنماذج كثيرة لا يمكن حصرها منذ عصر الرسول ﷺ وإلى اليوم وإلى أن يشاء الله تعالى، ومن أراد التوسع ففي كتب الزهد والرقاق ما يشفي العليل ويروي الغليل.

وأهم من القراءة العمل والتطبيق على النفس والاقتداء بمن مات على الهدى

---

(١) المرجع السابق، جزء (١) ص ٢٦٧ .

لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة والمعصوم من عصمه الله تعالى .

فكل علم لا يفيد العبدَ بقربه من الرب وإصلاحه للقلب وإجراء الدموع بالسكب ولصالح الأعمال بالكسب فلا بورك في هذا العلم للعبد .

قال تعالى: ﴿ ﴾ {فاطر: ٢٨} .

ومن أوتي من العلم ما لم يبكه لحري ألا يكون قد أوتي علماً [١] .

(١) سبقت الإشارة إلى هذا الأثر، ص ١٦ من البحث .

الفصـل الثاني
فوائد البكاء وكيفية التحقق به

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: فوائد البكاء .

المبحث الثاني: وسائل التحقق بالبكاء .

لا تكفي القراءة في الكتب وتذاكر أحوال السلف أو النظر في الآيات والأحاديث فحسب للتحقق بالبكاء وجعله صفة مكتسبة للعبد لازمة له بل لابد للمؤمن أن ينفذ واجبات عملية ووسائل تنفيذية ومهارات تطبيقية حتى يكون من الباكين وفي عداد الخائفين وفي زمرة المحبين لرب العالمين .

وقبل ذلك يحسن التعرف على الفوائد النفسية والصحية للبكاء .

المبحث الأول
فوائـــد البكـــاء

يشتمل البكاء على فوائد نفسية وأخرى صحية حتى لو كان الباكي في أسوأ حالة نفسية كما أن هناك فوائد روحية للبكاء .

المطلـب الأول
الفوائد النفسية للبكـاء

غالباً ما يقع الإنسان تحت ضغط نفسي كبير نتيجة حادث أو موقف مرّ به مما يشكل عبئاً على نفسه وأعصابه فإذا بكى فإن ذلك مما يهدي أعصابه ويسكن نفسه .

(فالبكاء يشكل نوعاً من التنفيس والتفريج عن النفس المثقلة بالهموم والقلب المكلوم المفعم بالأسى فدموع الإنسان راحة لقلبه وسكن لنفسه وترويح عن أعصابه وهو وسيلة فعالة لاستعادة الإنسان لهدوئه واتزانه النفسي ولولاه لمات الإنسان كمداً ولأضحت حياته جحيماً من كثرة الضغوط والهموم فسبحان من جعل من البكاء نعمة ومن الدموع شفاء) [١] .

ومن الفوائد النفسية للبكاء أيضاً: (في دراسة علمية أنجزها باحثون أمريكيون وهولنديون على ثلاثة آلاف شخص وكان من نتائج الدراسة:

. أن غالبية الناس يشعرون بتحسن في المزاج بعد البكاء في حين تتدهور حالة شخص واحد من أصل عشرة فقط بعد ذلك .

---

(١) مقال للأستاذ/ فرغلي هارون، بعنوان: (ابكوا تصحوا)، على موقع الديوان، تاريخ الزيادة: ٢٠١٥/٢/٧م .

. لاحظت الدراسة أن البكاء يعطي تأثيراً مهدئاً مثل التنفس بشكل أبطأ بحيث يساهم في تخفيض عدد دقات القلب) [١] .

المطلب الثانـي
الفوائـد الصحية للبكـاء

لاشك أن الدموع مفيدة للعين وللجسم كله (إذ تقوم الدموع على شفافية القرنية وتنظيفها وحمايتها من الجفاف وهي من العوامل التي تساعد على وضوح الرؤية وقوة ودقة الإبصار وتخلص الجسم من المواد الكيماوية المتعلقة بالضغط النفسي) [٢] .

ومن فوائد الدموع أيضاًً (أنها تحوي مواد وإنزيمات هاضمة خاصة تقوم بتحليل جدار الخلوي لكثير من الكائنات الدقيقة .

. كما أن لها فوائد لترطيب العين .

. أيضاً تحافظ على مرونة حركة الجفون العلوية والسفلية وتساعد على حمايتها كأداة لتطهيرها بصورة مستمرة .

. تساعد على حمايتها من الإصابة بالجفاف .

. تطرد الدموع أي مواد مهيجة للعين كالفلفل والدخان والأتربة) [٣] .

ومن الفوائد الصحية للبكاء أيضاً:

(. أن الدموع التي تنهمر من العين تقلل الإصابة بالشقيقة (الصداع النصفي)

---

(١) بقلم: عبد الدائم الكحيل،موقع الديوان ومصدر الخبر العلمي، WWW.ALJAZEERA.NET.

(٢) موقع على شبكة الإنترنت، سبقت الإشارة إليه ص ٧ من البحث .

(٣) المرجع السابق .

لأن الدماغ يتفاعل مع الخلل في توازنات الجسم .

. وأن الدموع تخلص الجسم من المواد الكيماوية المتعلقة بالضغط النفسي ولدى دراسة التركيب الكيميائي للدمع العاطفي والدمع التحسسي (الذي يثيره الغبار مثلاً) أن الدمع العاطفي يحتوي على كمية كبيرة من هرموني (البرولاكين) و (أي سي تي أتش) اللذين يتواجدان في الدم في حالة التعرض للضغط، وعليه فإن البكاء يخلص الجسم من تلك المواد .

. وأوضح هذا الاكتشاف سبب بكاء النساء بنسبة تفوق بكاء الرجال بخمسة أضعاف فالبرولاكين يتواجد لدى النساء بكميات أكبر مقارنة بالكمية لدى الرجال لأنه الهرمون المسئول عن إفراز الحليب .

. إن عدم القدرة على البكاء كان السبب وراء العديد من الأمراض .

. ومن جانب آخر عندما قام العلماء بتحليل الدموع وجدوا أنها تحتوي على ٢٥% من البروتين وجزء من المعادن خاصة المغنسيوم، ومن مواد سامة يتخلص منها الإنسان عند البكاء) [١] .

المطلـب الثالث

الفوائد الروحية للبكــاء

للبكاء فوائد روحية أخرى وهي الأهم بحيث تقرب العبد من الرب ومنها:

(١ . دليل على خشية الله ومراقبته .

---

(١) الإعجاز العلمي في الدموع، نجلاء صبحي، في رسالة بعثتها إلى موقع الدكتور/ ياسر عبد الله، للتأصيل الإسلامي للمعرفة (الإعجاز العلمي في القرآن والسنة)، يوم الأحد ٢٠١١/٤/٢٤م .

٢ . دليل على صلاح العبد واستقامته .

٣ . يورث الخوف من الله تعالى .

٤ . علامة على صحة الإيمان .

٥ . طريق موصل إلى محبة الله تعالى ورضوانه .

٦ . دليل على رقة القلب واستجابته .

٧ . سمة من سمات الخاشعين) [١] .

ومن الفوائد الروحية للبكاء أيضاً:

٨ . علامة مسجلة على صدق الداعية .

٩ . ثمرة من ثمرات العلم النافع .

١٠. يدل على رصيد العبد من الإيمان العميق والاتصال الوثيق والحزن المتواصل .

وإذا كان البكاء بهذه المثابة وله تلك الفوائد العديدة نفسية وطبية وروحية فما هي الوسائل العملية للتحقق بصفة البكاء؟

يتكفل المبحث الثاني بالإجابة على هذا السؤال .

(١) نضرة النعيم، مجلد (٣) ص ٨٤٢، مرجع سابق .

المبحث الثاني
وسائل التحقق بالبكـاء

يشتمل هذا المبحث على وسائل عملية إذا فعلها المؤمن فإنه يبكي كلما قام إلى الصلاة أو قرأ القرآن أو استمع إلى موعظة أو قرأ شيئاً من أخبار الصالحين أو شاهد منظراً مؤثراً ومرت به حادثة أو موقف .

كما أن تلك الوسائل مجربة عظيمة الأثر في القلب بالخشوع وفي العين بالدموع وفي الجوارح باندفاعها في الأعمال الصالحة، وهي ليست للقراءة والترف الفكري وإنما هي للعمل والتطبيق في النفس والواقع .

الوسيلة الأولى: تدبر القـرآن:

قال تعالى: ژ**ککگگگگڳڳ**ڳژ {محمد: ٢٤} .

وذلك يكون بعرض النفس على صفات المؤمنين بهدف استكمالها والحذر من صفات المنافقين أن يقع فيها بل قد يتصف المسلم بصفة من صفات الكافرين وهو لا يشعر ولا يخرجه ذلك من الإسلام لقوله تعالى في صفة اليهود: ژ**ڤڤڤڤڄ**ژ {البقرة: ٩٦} .

وإذا قرأ في وصف الجنة ونعيمها فأين هو من الإعداد لها وأين هو من ترك المعاصي خوفاً من النار، وكيف حاله مع أهله وولده بالرعاية والتربية ژ**ۈۇۇۆۆۅۅ**ژ {التحريم: ٦} .

وبالجملة أين هو من أمر الله ونهيه ژ**ہہہھ**ژ {التغابن: ١٦} .

وأن تكون قراءته للقرآن ليس لتحصيل الحسنات فحسب وإنما للعمل به في المقام الأول وإلا فلا فائدة من القراءة ولو ختمه ألف مرة .

وينبغي الاستعداد للقرآن بالوضوء والعطر والسواك واستقبال القبلة ويتخيل أن الله تعالى يخاطبه هو ويكلفه بأوامر القرآن .

الوسيلة الثانية: الاستعداد للصلاة:

ذلك بالطهارة والوضوء وإعداد ثياب خاصة للصلاة واستعمال السواك والعطر والتفكر أمام من سيقوم ويخاطب وإحضار القلب عظمة الرب وتذكر الجنة والنار وتخيل رؤية الكعبة كما كان يفعل إبراهيم بن أدهم .

الوسيلة الثالثة: التفكر في كل أقوال الصلاة وأفعالها:

. إذا رفع العبد يديه في الصلاة مكبراً فيتذكر أن الله أكبر من كل شيء في الكون والنفس والحياة وأن يشعر العبد بذلك وتكون واقعاً في حياته فيقدم الله تعالى على أي شيء: عمله أو راحته أو زوجه وأولاده أو فراغه وترفيهه .

. وليتفكر أنه يعبد الله قائماً كالشجر وراكعاً كالحيوان وساجداً كالنبات .

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **﴿ قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد : (الحمد لله رب العالمين) قال: حمدني عبدي، وإذا قال: (الرحمن الرحيم) قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: (مالك يوم الدين) قال، مجدني عبدي وقال مرة: فوض إلى عبدي، فإذا قال: (إياك نعبد وإياك نستعين) قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: (أهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل ﴾** [١] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٩٠٤)، كتاب: الصلاة، باب (١١) وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، جزء (١) ص ١٦٦ .

. وإذا قرأ شيئاً من القرآن فليتدبر ما يقرأ وأين هو من الأمر أو النهي الإلهي .

. وإذا ركع وقال: سبحان ربي العظيم فهو تنزيه لله تعالى والثناء عليه وامتلاء القلب بعظمته وكبريائه وجلاله وكماله .

. وعند رفع رأسه من الركوع وقوله: سمع الله لمن حمده ربناك لك الحمد، فليتذكر كل نعمة أنعم الله بها عليه وبخاصة نعمة الركوع في الصلاة وأن غيره من المرضى أو المعاقين من يعجز عن الركوع بل من الناس من لا يصلي أصلاً .

. وأن العبد لا يركع إلا لله ولا يذل نفسه لمخلوق مهما كان شأنه .

. وعند السجود فهذا مقام الذل والخضوع والمسكنة للإله الأعلى ﷻ فأشرف شيء في بدنه يلصقه بالأرض تواضعاً وانكساراً وخضوعاً لرب العزة والجلال .

. فإذا جلس بين السجدتين فليتذكر حال العبد الذي عصى مولاه وأذنب في حقه، حيث جثى على ركبته خائفاً يتوقع أي عقوبة يعاقب بها .

وهكذا ينبغي أن يفعل المصلي في كل ركعة من ركعات الصلاة والله تعالى يفتح له من العلوم والمعارف والإلهامات والخواطر والحقائق والمعاني في الصلاة وقراءة القرآن بشرط الدوام على تلك الحال من الخضوع والتدبر والتذكر والتفكر والتذلل والتعبد والتحزن والبكاء والتضرع والدعاء ﴿ۋۆۈۇۆۋ﴾ {المائدة: ٥٤} .

ما الذي ينبغي على المصلي فعله إذا حضره الخشوع وبكى؟:

لا يغير وضعه بحيث يظل واقفاً أو راكعاً أو ساجداً ويكرر الآية التي أثرت في قلبه ويكثر من الدعاء مع البكاء أن يديم الله عليه تلك الحال في كل صلاة ولا يرفع صوته بالبكاء ويكتفي بالدموع ويكون معه منديل يزيل به ما يسيل من أنفه لأنه يصاحب الدموع ويحاول جاهداً أن لا يشعر من بجواره بحاله وإذا كان منفرداً فإنه

يبكي ويجهش كما يريد وأما إذا غلبه البكاء أو خنقته العبرة أو تملكه شعور الحزن فيجب أن يستصحب نية هداية غيره والفتح عليه بالبكاء فيؤجر مرتين .

الوسيلة الرابعة: كثرة ذكر الله تعالى:

ژئىئىىيىيى□ □ژ {الأحزاب: ٤١} وذلك لأن الذكر (منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عزل وهو قوت قلوب القوم التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً وعمارة ديارهم التي متى خلت منه صارت بوراً وهو السلاح الذي يقاتلون به قطاع الطريق وهو الماء الذي يطفئون به التهاب الحريق) [١] .

﴿ وعندما جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يقول: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فمرني بشيء أتشبث به قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى ﴾ [٢] .

إن تحريك اللسان بالذكر يحرك القلب بالخشية ويمنع من اقتراف المعاصي ويسيل الدموع شوقاً إلى المذكور وولهاً به وحباً فيه .

فالعبد يذكر الله تعالى في هذه الأوقات ژژژڑڑکککگگگگڳڳڳڳڱڱڱڱڱں ڻڻژ {طه: ١٣٠} .

يعني في معظم أوقات اليوم والليلة وذلك لأن الذكر والفكر عمدة الطريق إلى الله تعالى .

الوسيلة الخامسة: تواصل الأحزان:

وذلك يتأتى بأن يتفكر فيما يحزنه من الأحوال والأخبار أو الحوادث السابقة أو

---

(١) تهذيب مدارج السالكين، عبد المنعم صالح العلي العزي، ص ٤٦٣، ط. دار الغد العربي .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث (٣٧٠٢)، كتاب: الدعوات، باب (٤) ما جاء في فضل الذكر، جزء (٢) ص ٨٦٨ .

الحالية أو فيما هو صائر إليه، ولابد:

١ . أن يتفكر فيمن سبقه إلى الآخرة من أهله وأصحابه وأحبابه وأن هذا الرجل مثلاً كان يأكل ويشرب من الطيبات ويصلي ويسجد ويسير في الشوارع والأسواق ويكتسب المال وينفقه وكان له زوجة وأطفال فلم يزل كذلك حتى فاجأه الموت على غير استعداد فخمدت حركته وأدخل إلى قبر مظلم حيث لا أحد يؤنسه إلا عمله وأنه لن يلتقي به أبداً إلا في الآخرة .

٢ . ثم يتفكر العبد في حال نفسه وأنه صائر إلى الموت لا محالة حيث لا مهرب منه ولا فكاك ولو جاء بكنوز الأرض كي يؤخر ساعة واحدة ژﭨﭩﮤﮥﮦﮧﮨﮩژ {الأعراف: ٣٤} .

٣ . فإذا كان الحال هكذا وأنه صائر إلى الموت شاء أم أبى فليعمل عملاً صالحاً وليحزن وليبك وليخف هنا حتى يكون هناك فرحاً ضاحكاً آمناً .

٤ . ومما يعين على ذلك الفكر والخلوة بعيداً عن أعين الخلق .

الوسيلة السادسة: رؤية الباكين:

تؤثر في القلب ولاشك لأن الطبع يعدي فقد لا يبكي العبد منفرداً ولا تطيعه عينه فإذا رأى من يبكي أو حضر قوماً يبكون بكى مثلهم (قد يبكي جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفاً من الله تعالى، ولو سمع الكلام وحده لما بكي ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب) [١] .

الوسيلة السابعة: التباكـــي:

إن لم يستطع العبد البكاء ولم تطعه عينه ولم يخشع قلبه فليتباكى أي يتكلف

(١) إحياء علوم الدين، الإمام/ أبو حامد الغزالي، جزء (١) ص ٢٨٧ .

البكاء حتى يصير له عادة فيلين قلبه وتدمع عيناه .

وفي الحديث: **﴿ ومن يتصبر يصبره الله ﴾** [١] .

فكل خلق ليس أصيلاً في النفس ويحتاج العبد إلى اكتسابه فليتكلف حتى يتخلق .

. وليس التباكي هو الكذب والرياء وإظهار غير ما في النفس كما فعل إخوة يوسف عليه السلام، **ژثثٹٹٹژ** {يوسف: ١٦} .

فهذا بكاء مذموم وصاحبه آثم بلا شك لأنه يعمى عن الحق ويزور الحقائق، أما محاولة البكاء وتكلفه بحيث يحضر القلب وتدمع العين مما يقرب العبد من الرب فذلك محمود مأجور صاحبه .

الوسيلة الثامنة: القراءة المنتظمة في كتب الرقائق:

من الأهمية والضرورة بمكان كبير القراءة في تلك الكتب والاطلاع فيما بين الحين والآخر حيث يكون القارئ في صحبة الآيات والأحاديث والآثار وأخبار السلف إذ يتم تناول كل ذلك بطريقة مختلفة بحيث يغوص القارئ في المعاني ويستخرج الفوائد ويعرض نفسه على ما يقرأ بنية الاقتداء والعمل وليس للترف الفكري وتمضية الفراغ .

ولتكن القراءة اليومية ساعة على الأقل في مثل هذه الكتب:

. تهذيب مدارج السالكين، عبد المنعم صالح العلي العزي .

. مختصر منهج القاصدين، ابن قدامة المقدسي .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، رقم الحديث (١٤٩٣)، كتاب: الزكاة، باب (٥١) الاستعفاف عن المسألة، جزء (٢) ص ٨١٢ .

. البحر الرائق في الزهد والرقائق . أحمد فريد .

. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، وغيرها كثير .

الوسيلة التاسعة: خـلاء البطــن:

إن كل الوسائل السابقة لا تجدي نفعاً ولا تغني شيئاً إذا كان العبد شبعاناً، وفي الحديث: عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿ ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن بحسب ابن أدم من الدنيا لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ﴾** [١] .

وقد جعل الله تعالى أصل الطب في نصف آية ﴿**پپپپڀ**﴾ {الأعراف: ٣١} .

ولو أخذ الناس بتلك الكليات لتعطلت المارشيات (المستشفيات) ودكاكين الصيادلة .

ومن قل طعمه فهم وأفهم وصفا ورق، وإياك والشبع فإنه يقسي القلب، ويجلب النوم ويقعد عن العبادة .

في أقوال كثيرة وشرح طويل للحديث في جامع العلوم والحكم [٢] .

إن خلاء البطن من أكبر المعينات على الخشوع والبكاء لأن الشبع حائل دون ذلك وهو أمر مجرب .

وخلاء البطن يكون بقلة الطعام أو بالجوع من صيام أو من غيره فيكفي العبد

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث (٢٥٥٤)، كتاب: الزهد، باب (٤٧) ما جاء في كراهية كثرة الأكل، جزء (٢) ص ٦٠٨، وأخرجه ابن ماجة في سننه، رقم الحديث (٣٤٧٤)، كتاب: الأطعمة، باب (٥) الاقتصاد في الأكل وكراهية الشبع، جزء (١) ص ٤٨٨ .

(٢) للإمام ابن رجب الحنبلي، ص ٦٠١ وما بعدها .

أن يصوم يوماً أو يومين كل أسبوع وإذا طعم فيكفيه ثلث بطنه ليملأه بالطعام ثم ليكثر من الخضروات والفواكه فإنها لا تثقله وهي نافعة غاية النفع .

وبتطبيق الوسائل السابقة يتحقق العبد بالحزن والبكاء .

فتدبر القرآن يفتح القلوب والعقول، والتفكر في الصلاة يبعد عن السهو ويجعل العبد في جنة الدنيا، وبكثرة الذكر يحضر القلب ويقرّب من الرب، وبتواصل الأحزان تبكي العينان، ورؤية الباكين تحرك القلوب وتسكب العبرات، أما خلاء البطن فإنه يرقق القلب ويصفي النفس وينشط للعبادة ويصح البدن ويساعد في تحقيق الوسائل السابقة بما يحقق الهدف المنشود وهو الخوف من رب العزة والجلال والبكاء رهبة أو رغبة وشوقاً .

خاتمـة البحـث

ويشتمل على النتائج والتوصيات .

أولاً: نتائج البحث:

١ . اهتمام القرآن الكريم بقضية البكاء من خشية الله تعالى فهو من صفات الأنبياء ومن خصائص المؤمنين ومن شارات العلماء .

٢ . أن السماء والأرض يبكيان على موت العبد الصالح .

٣ . ذم القرآن الكريم لبكاء الكذب والرياء وتغيير الحقائق .

٤ . اهتمام السنة النبوية بالبكاء ببيان فضله وأسبابه ودواعيه .

٥ . كثرة نماذج البكائين من السلف الصالح .

٦ . ندرة البكاء والباكين في أيامنا إلا من رحم الله وقليل ما هم .

٧ . كثرة فوائد البكاء للنفس والبدن والروح .

٨ . تطبيق الوسائل العملية للوصول للبكاء والتحقق به مجربة عظيمة الفائدة .

٩ . يستطيع بعض الباحثين إضافة وسائل أخرى للتحقق بالبكاء .

ثانياً: توصيـات البحث:

١ . إمعان النظر وإطالة الفكر في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الموضوع الواحد بقراءة ما كتبه السابقون في إيضاح المعاني .

٢ . محاولة الاقتداء بالمثل الأعلى رسول الله ﷺ وصحابته الكرام في بكائهم من خشية الله تعالى .

٣ . أن العبد إن لم تجبه دموعه بالبكاء فليبك قلبه أو يتباكي حتى يكتسب الصفة .

٤ . أن السير والالتزام بوسائل معينة في فترة زمنية يحقق الهدف المنشود .

٥ . إن القراءة في السيرة النبوية وقصص الصالحين تحرك الهمة وتوقظ القلب نحو الأعمال الصالحة اقتداء بأجدادنا السابقين .

مراجـع البحــث

(١) القرآن الكريم .

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز أبادي، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م .

(٣) تفسير القرآن العظيم، الإمام/ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ط. دار طيبة، ١٩٩٩م .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط. مكتبة الصفا، ٢٠٠٤م .

(٥) الجامع لأحكام القرآن الكريم، الإمام/ القرطبي، ط. الريان للتراث .

(٦) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني .

(٧) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام/ جلال الدين السيوطي، ط. الأنوار المحمدية .

(٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ط. إحياء التراث العربي، بدون تاريخ .

(٩) السنن، للإمام/ ابن ماجة القزويني، ط. المكنز الإسلامي .

(١٠) السنن، للإمام/ أبو عيسى الترمذي، ط. المكنز الإسلامي .

(١١) السنن، للإمام/ أبي داود سليمان بن الأشعث، ط. المكنز الإسلامي .

(١٢) السنن، للإمام/ النسائي، ط. المكنز الإسلامي .

(١٣) الصحيح، للإمام/ محمد بن إسماعيل البخاري، ط. المكنز الإسلامي.

(١٤) الصحيح، للإمام/ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط. المكنز الإسلامي .

(١٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، ط. دار الشروق، ١٩٨٧م .

(١٦) لسان العرب، ابن منظور، ط. دار الفكر، ١٩٩٤م .

(١٧) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، ط. دار الفكر، ١٩٨١م .

(١٨) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ط. المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م .

(١٩) نضرة النعيم، تأليف مجموعة من المختصين، بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، ط. دار الوسيلة بالسعودية، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م .

الفهـــرس

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	٢
خطة البحث	٣
تعريف البكاء	٦
أنواع البكاء	٨
البكاء في القرآن الكريم	١١
البكاء في السنة النبوية	٢٥
فضل البكاء	٢٥
الأمر بالبكاء	٢٩
أسباب البكاء ودوافعه	٣٠
نماذج من البكائين	٤٠
فوائد البكاء	٥٠
وسائل التحقق بالبكاء	٥٠
خاتمة البحث	٦٢
المراجع	٦٤